تعريف عن الكتب

الحركة الفكرية في سورية (تابع)

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

٢ً ـ الكتب المدرسية المؤممة وما شاكلها

التأميم في العربية هو جعل الاملاك الخاصة والشركات وسائر وسائل الانتاج ملكاً للامة (المنجد في اللغة).

واذا فرضت الحكومة قانون التأميم على الكتب المدرسية عاملت هذه الكتب كوسيلة من وسائل الانتاج يرجع ريعها تجارياً الى الحكومة والأمة شأن الانتاج في الشركات. ولكن أمين الحكمة وحسن التروي ان يعامل الكتاب المدرسي التعليم معاملة القماش في قطعة النسيج؟ أليس من اللازم ان يصير التمييز بين الكتاب للبيع عند الوراق وبين الكتاب اداة التفكير والتعليم؟ وهل يرضى العقل السليم بتأميم الفكر والعلم كأنه رهين الدولة كالأشياء المادية؟

او بغير عبارة أيجوز ان يحصر اسلوب التعليم في نطاق مبلور لا يترك للمعلم وللمتعلم الحرية في التصرف به حسبما يراه موافقاً للظروف في الزمان والمكان والاشخاص دون ان يمس المبادئ الانسانية البديهية التي تترك للابوين مع واجب تربية اولادهم البدنية والعقلية الحرية في اختيار اساليب تعليم على ان يكون ذلك التعليم موافقاً للحق الطبيعي ولشرائع البلاد الصالحة. وهذه الملاحظة نعتبرها جوهرية قبل الاخذ في تعريف القراء بسلسلة الكتب المدرسية المؤممة في سورية.

ولعل تطورات الاحداث الاخيرة بين انقلاب وانقلاب آل امره الى تغيير ما جاء في الكتب المؤممة كما تغيرت امور كثيرة في سورية ولكن المبدأ الذي اشرنا اليه في لزوم مراعاة حرية التعليم ضمن الشروط المحدودة في الدول المتمدنة والذي تؤاخذ الكتب المؤممة بعدم مراعاته يستدعي اعادة النظر في شؤونها فرأينا افادةً في الكلام على هذه الكتب في نطاق وحدتنا الحركة الفكرية في سورية

واننا لا نذكر الا الكتب التي بين يدينا احدثاً بتاريخ صدورها من السنة ١٩٥٦ الى السنة ١٩٦١ .

هي الكتب المدرسية ومواضيعها تشمل مختلف الدروس : مفتاح القراءة . الصرف : السحر : المنتخبات الادبية . على اننا حصرنا مقالنا في التاريخ والشؤون الاجتماعية ويخيل لمؤلفيها اعمال بين قادة الحركة الفكرية تلوّ من ذكرياهم في الجزء الاول من هذا المقال في مجلة المشرق سابقاً (١٩٦٤ . ك٢ — شباط واذار ونيسان) .

واذ كانت مادة الكتاب تقدر قيمتها ليس بقيم معانيها فقط ولكن بعدد قرائها ايضاً فترى اهمية الكتب المدرسية تعظم وتنمو بعدد المئات والآلوف من القراء الذين يتصفحونها من اساتذة وتلامذة وغيرهم . وقد تستوجب النظر والنقد في حسنها او مساوئها . وان الكتب التاريخية التي بين يدينا تحوي مواد مترادفة فيها مفصولا بفصول من العهود القديمة الى يومنا ونقد الكتاب الواحد يكفي مؤونة نقد سائر الكتب المترادفة فيه المواد ؛ ولذلك نتكلم بشيء من الاسهاب على « تاريخ العرب من العصر الجاهلي حتى نهاية القرن السادس عشر » وعلى « تاريخ اصول العالم الحديث » . وفي الكتابين موجز تاريخنا من القدم الى يومنا ونكتفي بتعريف سائر الكتب بأسطر معدودة ونختم المقال بملاحظات عامة افادةً لتقصّي الحقائق وسد الخلل في التعليم .

مؤسسة الكتب المدرسية المتحدة

تاريخ العرب من العصر الجاهلي حتى نهاية القرن السادس عشر

الصف الثاني الاعدادي — تأليف حرب فرزات خيرية قاسمية محمود طرشه
المطبعة الجديدة — دمشق ١٩٥٩ ق ٨ ص ٢٧٢ مصور

جاء في ص ٣ ؛ ص ٩ ...

« سنرى المعجزة العربية في السياسة والحرب وفي الحضارة في وقت كانت فيه الظلمة تسود العالم الاوروبي » .

فنقول : « ليس ثم من معجزة اتى من حدث يفوق قوى الطبيعة ... لان العرب استمدوا من البلاد المتمدنة التي فتحوها في الشام ومصر وفي المغرب من تراث المدنية الاغريقية الرومانية المسيحية ما تصرفوا به لانشاء المدنية العربية الاسلامية .

وليس هناك من معجزة سياسية لان البلاد التي فتحها العرب كانت في حالة انحطاط اشبه منها بالفوضى وقد سهل العنصر العربي المسيحي الفتوحات للعنصر العربي الاسلامي . وجرت الامور في سبيلها الى ان ظهرت الدولة الاسلامية بعزّها .

جاء ص ٤ ، سطر ١٠ ...

« نحن نعتقد ... ما اسطف احرف في سنة قصيرة لا يخلو من نقص » .

فنقول : « ليس من الغبطة ان يوضع بين ايدي التلامذة كتاب لم يقص مؤلفه الزمان الذي لا بد منه للبحث والتنقيب لان « العجلة من الشيطان » .

وقال :

« نرجو ان يساعدنا الزملاء والمربيات على تلافي النقص ... »

ونحن اخذاً بهذا الرجاء اتينا على كتابة ما رأينا الواجب في كتابته خدمة للحقيقة ومساعدة على وضع الكتاب المدرسي . فنقول : قبل ان يقدم اصحاب الكتب المدرسية على التأليف في التاريخ يا ليتهم قرأوا ما قاله احد رجال الاختصاص في التربية :

« من المستحيل ان تصور بالفاظ معدودة صورة امة خطيرة او صورة مشروع عظيم ؛ ومن المستحيل ان يجمع بعبارات وجيزة ذكر حوادث او ترجمة لأشخاص وفيها ما لا نهاية له تنوعاً واهدافاً ؛ من المستحيل ان تعرض بلوحة صغرى شاملة صور الرجال والاشياء في مقام مناسب لأهميتها ؛ من المستحيل ابداء الحكم المصيب في الامور وبحثها بعلاتها حتى اذا اطلع القارئ عليها اشعر بانه يقف عليها من غير تغرض وانحراف عن الاصابة . لان ذلك يتطلب جهوداً عظيمة ودقة في معالجة الامور مع المقدرة الواسعة على الانشاء والدقة في بحث الحقائق . والغيرة المتقدة على اتباعها ولن يبلغ الى ذلك الا العقول الثاقبة عقول المؤلفين المتنزهين عن كل ما ليس من شأنه ان يكون علمياً فيطرحون عنهم النزعات الشخصية وكل ما من شأنه ان يحوّل الفكر عن لب الحقائق ويثنيه عن الحكم المصيب » .

ولسوء الحظ ليس في المؤلفات التي بين يدينا كل الصفات التي ذكرناها ولا بد من الاشارة الى ذلك كما سترى .

وقال ص ٥٢ :

« وجّه النبي الدعوة للاسلام الى ملوك الدول المجاورة والى نجاشي الحبشة وقيصر الروم وكسرى وفارس ومقوقس مصر . فاما النجاشي فقد كان رده معتدلاً واما قيصر الروم هرقل فلم يرسل رداً ؛ اما كسرى فارس فانه عندما تلي عليه الكتاب بعد ان ترجم استشاط غضباً ومزق الكتاب واما مقوقس مصر فانه قبل كتاب رسول الله واهدى اليه اربع جواري منهن مارية القبطية التي تزوجها محمد (ص) وولدت له ابنه ابراهيم » .

ونقول : لست ادري بالوقع الذي تحدثه حكاية الجواري الاربع في خيال الشبان تلامذة الصف الثاني الاعدادي وباللباقة وبالتحدث عنها في المدرسة .

ولو كانت صحيحة تاريخياً. ولكن النقد العلمي بيّن ان اخبار مثل تلك الدعوة التي وصفها المحدثون ليست الا اسطورة من الاساطير.

راجع في هذه المسألة كتاب كايتاني «حوليات الاسلام» في عام ٦ من الهجرة[1]. قال ما خلاصته. في بدء ٦٢٧ كان جلاء الترس عن مصر ولم يأخذ المقوقس بالحكم بعدهم باسم هرقل الا في ربيع سنة ٦٣١ على ان الرواة المسلمين يقولون ان دعوة محمد وصلت الى المقوقس في نيسان ٦٢٨. فكيف تبلغه ولم يكن اذ ذاك حاكماً في مصر!

يقولون ان الخاريتين القبطيتين ماريا وشيرين تكونا قد وصلتا الى المدينة في اوائل ٦٢٩ حتى يمكن ان يولد ابراهيم محمد النبي من ماريا القبطية في نيسان ٦٣٠ ولكن جاء في غير حديث من الروايات ان ماريا وشيرين كانتا عند محمد في يناير ٦٢٧ وان النبي اعطى شيرين لحسان بن ثابت. ومن ثم فليس لها علاقة بالمقوقس...

وقال كايتاني: ومما يزيد بقلة صحة الخبر ويبين نزعته الاسطورية انه ليس من المعقول ان يرسل امير قبطي مسيحي آنستين قبطيتين مسيحيتين هديتين الى زعيم عربي مجهول منه مهما يكن انحطاط المسيحية في ذلك الزمان والمكان.

وجاء ص ٥ — ٥٨:

العصر الجاهلي (واسمه بالجهل ضد الحلم) سيرة الرسول العربي محمد بن عبدالله — خديجة بحيرا — زواج محمد — البعثة وبدء الوحي — القرآن ومبادئ الرسالة الاسلامية — «لماذا اعتنقت الاسلام»... كفاح الرسول العربي — عقيدة التوحيد — غزوات الرسول وانتصار المسلمين... كتاب الرسول الى النجاشي — الى كسرى — الى المقوقس.

فاقول: للمسلمين وشأنهم فيما يقولونه ويكتبونه عن «النبي» وبحيرا والقرآن وعقيدة التوحيد وغير ذلك. وان امور الدين دقيقة حسّاسة لا يجوز مسّها الا بالفطنة والاعتبار... (اطلب القسم الثالث من هذا المقال).

وان هذا الكتاب وهذه الاقوال المستغرقة جزءاً عظيماً منه.، وضعت للتعليم بأمر الوزارة في مدارس الجمهورية العربية المتحدة. وهذه المدارس تجمع مع التلامذة المسلمين عدداً غير قليل من المسيحيين.

فلا بدّ من الكلام والرد دفاعاً عن المسيحية وعن الحقيقة التاريخية. يقضي الاولاد المسيحيون ربع السنة المدرسية او ثلثها في درس الدين الاسلامي وليسوا هم بحاجة اليه لانهم مسيحيون. اوَ لم يكن من الانصاف بحقهم ان يقرأوا في

[1] L. Caetani, *Annali dell'Islam*. Milano, 1905, I, p. 370.

« تاريخ العرب » تاريخ المسيح والمسيحية التي نشأت في بلاد فلسطين وبلاد فلسطين هي « بلادنا » ولغتها هي لغتنا ! ولم يذكر المؤلفون المسيح ولا المسيحية مع كونها كانت ديانة اهل الشام والعراق ومصر والمغرب عند ظهور الاسلام .

قال ص ١٨٠ ، سطر ٣ ...

« وقد اثار دعاة الحروب الصليبية وعلى راسهم الراهب بطرس الناسك العواطف الدينية في الغرب بعد ما نشر عن المعاملة التي لاقاها الحجاج المسيحيون في عهد السلاجقة الاتراك ، بعد ان كانوا يتمتعون به في عهد الحكومات السابقة فدعا الى فتح فلسطين وطرد العرب المسلمين منها . »

وقال ص ١٨٢ ، سطر ٤ ...

ثم انطلق الصليبيون نحو مدينة انطاكية فحاصروها ثمانية اشهر وتمكنوا من دخولها واحتلوا حصن الاكراد « قلعة الحصن » . . ثم وصلوا الى بيت المقدس فدخلوها بعد معارك وحاصروا القدس نحو ستة اسابيع وتمكنوا في ١٥ تموز من اقتحام السور وحاصروا البرج الذي في الشمال الى ركسم ... ثم احتلوا طرابلس ... واحرقوا مكتبتها .

فأقول : هذا الكلام يغالي ويناقض الحقائق . منها ان مكتبة طرابلس كانت تحوي ما تحويه مكتبة الوراق وكانت فيها المئات من الكتب التي هي نسخات عن ام واحدة لا الكتب بانواعها المتعددة . (راجع ملاحظاتنا في ذيل المقال) .

وقال في ص ١٩١ :

« واحتل الملك الظاهر قيسارية ويافا وقلعة الحصن بعد ان هدمها » .

فأقول ان قلعة الحصن لم تزل باقية عامرة الى يومنا وقد نشرت صورتها في الكتاب .

وجاء في ص ١٩٤ :

« امتزج فن البناء العسكري باسلوب البناء الفرنجي كما في قلعة الحصن وتركوا في البلاد قلاعاً كثيرة كقلعة المرقب قرب بانياس وقلعة صهيون وبانياس والشوبك والكرك ...

وخمد التعصب الديني بعد ان التقى الشرق الاسلامي بالغرب الصليبي والخلاصة ان اثر الغرب كان اثراً مخرباً اضعف الامة ومزقها ونشر فيها الخراب والدمار وافقدها كنوزها الفكرية بما احرق من مكتبات وما هدم من بنيان » .

اقول : فانظر التناقض في الصفحة ذاتها بين قول واقوال !

وجاء في ص ١٩٤ :

« ارتدت حملات الصليبيين خائبة عن الوطن العربي ولكن عاد الخطر الاوروبي يهدد كيان وطننا من جديد في العصور الحديثة في ثوب الاستعمار والصهيونية . »

فنقول : اين نحن من تاريخ الحروب الصليبية لنصل الى الصهيونية ! ن هذا القفز فوق ٨ او ٩ عصور يدوّخ التلميذ . فاين صلاح الدين الايوبي وريشارد قلب الاسد من بن غوريون ؟

ـ وجاء ص ٢٦١ في الكلام على الترجمة والنقل

« فقد العرب المسلمون منذ القرن التاسع عشر فصاعداً يترجمون الى العربية مؤلفات الاقدمين ».

« وكان كبار ملوكها الامبراطور شارلمان يحبون تعلم القراءة والكتابة ».

فأقول (راجع ملاحظات في ذيل المقال).

وقال في المكتبات ص ٢٦١ :

« وانشأ العزيز بالله الفاطمي مكتبة فيها مليوناً ومئتان الف مجلداً ».

فأقول ان اكبر مكتبة في العالم لا تجمع في يومنا عدد مليون ومئتان الف كتاب مخطوط

تاريخ اصول العالم الحديث

لوبر ديبوي ـ مجموعة المعهد دمشق ١٩٥٧ ص ٩٢ ـ ١٧٨٢٤ مصور

جاء في الكتاب [1] :

ص ٤ البابا والكنيسة الكاثوليكية : « انقسمت المسيحية في العصور الوسطى الى مذهبين كبيرين : اولهما المذهب الارثوذكسي في الشرق وعلى رأسه بطريرك القسطنطينية وكان يسير في البدء مسيحيي الامبراطورية الرومانية الشرقية ثم شمل ايضاً الشمالية بعد انتشار المسيحية بينهم .

والثاني المذهب الكاثوليكي وعلى رأسه البابا في روما. ولم يكن للبابا هذا المركز الذي اكتسبه قبل سقوط روما على يد البرابرة الجرمن ولكنه اثبت انه خليفة القديس بطرس ... واحتل البابوات مكانة سامية خلال العصور الوسطى لان انهم كانوا يتوجون الاباطرة ويمنحونهم البركة والسلطان ... وهكذا كانت الميزة الاولى للعصور الوسطى في اوروبا وجود كنيسة واحدة على رأسها بابا . ويعني ان له السلطة الزمنية ايضاً لانه هو الذي يتوج الاباطرة .

وكثيراً ما كان الخلاف يقوم بين البابوات والاباطرة على فكرة من هو الاعلى ولكن البابوات كانوا دائماً ينتصرون » .

فأقول: كل هذا البند محشو بالاغلاط ويحتاج الى تصليحات وشروحات تذوق استطاعة المعلم لا سيما اذا كان مسلماً . ومن شأنها ان ترمي البلبال والاضطراب في عقول ابنائنا المسيحيين .

وهذا البند مخالف لتعاليمنا المسيحية ومضر لابنائنا على اختلاف طوائفهم (راجع ذيل المقال) .

ص ٧ « على اننا يجب ان نلاحظ ان العصور الوسطى في اوروبا كانت بصورة عامة عصور جهل وظلام في وقت كان العرب فيه يعطون الانسانية احسن ابداعهم والسبب في ذلك ان علوم القدماء وآدابهم كانت مدونة بالاغريقية واللاتينية والذين كانوا يتقنون احدى هتين اللغتين كانوا قلة من الناس في اوروبا . »

. ص ٩ « في العصور الوسطى كانت تعاليم الكنيسة مسيطرة على عقول الاوروبيين سيطرة

(١) اليك تحليل مفصل للكتاب ـ وخذ منه انموذجاً عن سائر الكتب التي تصفها اختصاراً .

كاملة فهم لا يستطيعون ان يفكروا الا من خلال ما تعلمه من افكار وتعاليم ولا يستطيعون ان يتذوقوا من الجمال الا ما ينسجم مع الروح المدنية فهم آلات صماء نفخت فيها روح البحث والتحري عن الحقيقة لانه لا حقيقة الا ما تمليه عليهم الكنيسة وبقوا من اجل ذلك بعيدين كل البعد عن روح الابداع التي ولكن الاوروبيين احسوا بتأخرهم فعادوا الى تعاليم الكنيسة وعادوا الى كتب الاغريق والرومان يدرسونها الى جانب الكتاب المقدس واخذوا يتنسمون ريح الحرية ويتعللون في تفريجهم نوادر الشعر فعادت روح البحث العلمي تجد وتسري بتذوق الجمال وقد تسموا في سبيل ذلك احياناً كثيراً من اصحابها ولكن هذا الاتجاه هو الذي انتصر واصبح الاوروبي في النهاية انساناً . »

ص ٩ « اثر الحضارة العربية في اوروبا في الوقت الذي كانت فيه اوروبا خلال العصور الوسطى غارقة في ظلام الجهل كانت البلاد العربية في اوجي عصورها الحضارية . »

ص ١٠ « واثرت الفلسفة العربية الاسلامية على الفلسفة المسيحية الاوروبية تأثيراً واضحاً حتى ان مدارس الجامعية الكثير من القرارات لمنع تدريس فلسفة ابن رشد التي كان بها كثير من الاساتذة والمدرسين . »

ص ١١ « وقد نقله الاوروبيون الى بلادهم صناعة الورق وخاصة الحرير عن طريق المكتبات الاوروبية باللغة العربية وكان الناسخون احياناً يقلدون خطه دون ان يعرفوا معنى الكلمة الموجودة عليه وربما كانت احياناً آيات قرآنية . »

ص ١٢ « وقد اصبح معروفاً اليوم ان فاسكو دوغاما لم يكن باستطاعته ان يصل الى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح لولا مساعدة ابن ماجد البحار العربي له في مهمته تلك . »

ص ١٣ « فبعد ان كان الناس في تلك القرون (الوسطى) يحتقرون الحياة الدنيا ويحطون من الحياة الآخرة الحقيقة المثل وبعد ان كانوا بالتالي محرومين من التفكير الفردي الا في حدود ما ترسمه الكنيسة ورجال الدين لهم ادخلهم هذه الحركة (الحركة الانسانية Humanisme) الى اعتبار الحياة غاية في ذاتها والى تقديس الانسان وفكره دون الاخذ بوجهة النظر الكنسية لأي موضوع فما دام للانسان عقل فله ان يفكر لما يشاء دون اية حواجز .

هذه الحركة هي التي دفعت ... المصلحين الدينيين الى رفض ما تفرضه الكنيسة من تعاليم ووضع تعاليم جديدة تنسجم مع المنطق البشري وهي التي دفعت العلماء الى رفض ما تفرضه الكنيسة من معلومات عن الكون . »

ص ٢٤ « ادت الحركة الدينية الى القضاء على وحدة المسيحية في اوروبا الغربية والى خلق كنائس مسيحية جديدة ».

ص ٢٥ ان الفساد الاكثر جلياً للانتباه كان في حالة رجال الدين .

... فقد طبع الكتاب المقدس بكميات كبيرة بالمئات الثورية وانتشر بين ايدي الناس فاصبح بامكانهم ان يطلعوا على اقوال المسيح مباشرة دون حاجة الى رجال الدين الذين كانوا يستأثرون بهذه المهمة عندما كانت نسخ الكتاب المقدس محدودة ومكتوبة باللغة اللاتينية التي لا يفهمها الجميع وبذلك تفتحت العيون على انماط من السلوك كان يمارسها الكهنة وتخالف ما جاء في الانجيل .

صكوك الغفران ... اعلن البابا ليون العاشر ان كل مذنب يغفر له اذا اتى صاغراً الى كنيسة بطرس الرسول ومن لم يستطع القيام بهذا الحج يمكنه ان يدفع صدقة من المال تساعد على اتمام بناء هذه الكنيسة ... ولكن العامة لم تفهم كل هذا التعقيد بل فهمت ان من يشتري صكوك الغفران تغفر ذنوبه كلها ويدخل الجنة .

ص ٢٦ هكذا نلاحظ ان الغاية من ايجاد صكوك الغفران وهي اوراق تباع للمذنبين هو اتمام بناء كنيسة القديس بطرس في روما ولكن الطريقة التي بيعت بها هذه الصكوك لم تكن لبقة اذ عهد بيعها الى بعض البنوك فكان الناس اذن يذهبون الى هذه البنوك لشرائها فكانهم يشترون الجنة بمالهم .

وعاتب البابا لوثر بالحرمان من وحة الكنيسة ...

ص ٢٩ جماعة الاصلاح الكاثوليكي اهم اعضائها انشاء « جماعة الاخوان اليسوعيين » « يجمع تراث » اما جماعة الاخوان اليسوعيين فقد انشأها راهب اسباني يسمى اغناطيوس لويولا وكانت جمعية ذات نظام قاس ينتقي اعضاءها من الرجال الاذكياء الادكياء والمتقنين ... ومن الذين حملوا الكاثوليكية في المانيا الغربية والنمسا وبلجيك ولكسمبرغ : يقصروا نشاطهم على اوروبا بل ارسلوا البعثات التبشيرية الى الصين واليابان وافريقيا والاميركتين

ص ٣٢ كانت معلومات الاوروبيين الجغرافية في العصور الوسطى سائية للغاية فكانوا يعتقدون ان الارض مربعة على شكل اسطوانة مجسمة ... وبيت المقدس هي مركز الارض وفي اقصى الشرق تقع الجنة [وناسين قول ياقوت في معجم البلدان ان العرب جعلوا الكعبة سرة الارض وبيت الذهب]

ص ٣٤ ... ان السعادة والنجاح والنجاح الشخصي فكان كل ذلك معقوداً حتى اطلع الاوروبيون على علوم العرب وحتى طبقت فيما بعد حركة الاصلاح

ص ٣٥ ... روجر بيكون حرض على العلوم ... حث على اتباع الطريقة العلمية لوصول الى حقائق وبعد ان اطلع على علوم العرب

ص ٣٦ بعد ان اقتنع علماء اوروبا بالطريقة الجديدة التي كان العرب قد استخدموها اليها منذ عهد بعيد اخذوا يحصلون معلوماتهم .. ويستفيدون من بعضهم بعضاً .

ص ٣٧ اعتقد رجال الدين ان ابحاث غاليلو (في دوران الارض حول الشمس) تعالت تعاليم التوراة ولذلك طلبوه امام محكمة التفتيش وبقي تحيناً بقية حياته حتى كف بصره وتوفي في السجن .

فيكون يرجع اليه الفضل في نظر الاوروبيين باكتشاف الجاذبية الارضية والواقع ان الجاذبية الارضية عرفها العرب من قبل.

ص ١٦٩ الثورة في سورية ... استعملت (فرنسا) ابشع الاساليب الوحشية وقامت بتدمير قرى بكاملها وضربت مدينة دمشق مرتين وقتلت الآلاف ...

اقول تعليقاً على هذه الاقوال (راجع ملاحظاتنا في الذيل) .

تاريخ العرب والاسلام

للصف السابع المتوسط – الف هذا الكتاب بتكليف من وزارة المعارف لجنة من الاساتذة : السادة بسام كرد علي ، جورج حداد ، شاكر مصطفى ، صعد الدين الفواص – مطبعة العلوم والآداب ١٣٧٣ هـ – ١٩٥٣ م – ص ٢٢٤ – ١٧X٢٤ – مصور

قال المؤلفون في بدء الكتاب : نحن ننتظر من تأييد زملائنا وطلابنا الاعزاء خير ما ينتظر الزميل من الزميل والاستاذ من الطالب البار . فيكون المؤلفون من ذوات الاساتذة في التعليم الثانوي او « الابتدائي » ولهم الفضل فيما يكتبونه مادة « لتعليم » تلامذتهم وقد يتعهدون بالتأليف عن غير اختصاص ؛ على ما ادري . يبدأ الكتاب الذي بين يدينا في وصف الجزيرة العربية وينتهي في الكلام على « ابو عبيدة بن الجرّاح » . وهو اشبه بكتاب ديني اسلامي منه بكتاب مدرسي لعامة التلامذة من مسلمين ومسيحيين . وأولى بان يكون عنوانه تاريخ العرب الاسلام ؛ فليس للمسيح وللمسيحية فيه ذكر الا خلسة في الكلام على الخرطقات.(ص ٩٦، سطر ٢٦ ...) (راجع ملاحظاتنا في ذيل المقال) .

تاريخ الحضارة العربية

فرع الآداب واللغات – كتاب يبحث في الحياة الادارية والاجتماعية والاقتصادية – الف هذا الكتاب بتكليف من وزارة المعارف لجنة من الاساتذة السادة : انور الرفاعي ، بسام كرد علي ، شاكر مصطفى ، فيصل شيخ الارض – المطبعة الجديدة دمشق ١٩٥٣ – الحقوق محفوظة – ص ٩٢–٢٤×١٧ سم طبع انيق – ورق صقيل

جاء في ص ٧٥ د : اهل الذمة في المجتمع الاسلامي : لم تمض علاقات الذميين بالمجتمع المسلم على نسق واحد خلال العهود الاسلامية المتطاولة . فقد كانت تتأثر بمؤثرات مختلفة من اهواء الحكام والاوضاع الداخلية والاحداث الخارجية . وكثير من القيود والاضطهادات انما كانت تضيق لفترة وجيزة ثم تلغى كما حدث في عهد الرشيد والمتوكل والحاكم بامر الله . ولم يكتر ذلك الا في عهود الانحطاط . وحسن المعاملة كان الصفة الدائمة التي تمتع بها نصارى العرب منذ الايام الاولى للحكم الاسلامي كالذي نراه من عبدالملك بن مروان مع الاخطل الشاعر (النصراني) .

تاريخ الحضارة العربية

الحياة الفكرية – كتاب يبحث في الحياة الفكرية في الاسلام ولا سيما العلوم حتى مطلع العصر العثماني . للصف الحادي عشر – لفرعي العلوم الرياضية والفيزيائية ، والعلوم الطبيعية والفيزيائية – مطبعة الجمهورية السورية – وضع هذا الكتاب بتكليف من وزارة المعارف السورية لجنة من الاساتذة : انور الرفاعي ، بسام كرد علي ، شاكر مصطفى ، فيصل شيخ الارض – ص ١٣٣–٢٣×١٤ سم صور – طبع متقن – ورق صقيل

راقنا في هذا الكتاب اسلوبه الوضاح ولهجته المنزهة عن المبالغة فيليق بتعليم كبار التلامذة وبمطالعة المثقفين من القراء وفيه الاقوال والآراء الداعية الى البحث سواء اكان ذلك في المرحلة قبل الاسلام او في ظهوره او في مراحل النقل والتمازج ولا سيما في مرحلة الانتاج . جاء في الصفحة ٤ : « ان الانتاج الفكري العربي الاسلامي تم في بقاع عديدة متباعدة تمتد منذ ارض الاندلس ومراكش حتى ارض تركستان والسند ، واشتركت فيه عناصر جنسية مختلفة ليست كلها عربية وان كانت غالبيتها العظمى مسلمة ... » وافهم من ذلك ان للمسيحيين سهماً فيها .

التاريخ الحديث في الشرق والغرب

الكتب المدرسية المثبتة – الصف التاسع – شهادة الدراسة المتوسطة ١٩٥٦ – مصورات وزارة المعارف السورية – ص ٢٠٥–١٧×٢٤ – مصور

لا ذكر للمؤلف في هذا الكتاب فلا يعاتب ولا يخاطب . حبذا في « الاصلاح الديني » ص ٦٣–٦٥ عن اسبابه وعن « صكوك الغفران » والبروتستانية والاصلاح الكاثوليكي والبابا والجزويت وغير ذلك مما مسته يد المؤلف مساً غليظاً مخطئاً ومن امثال ذلك الكثير في طيات الكتاب فلا نرضى به لتعليم في مدارسنا المسيحية . راجع ملاحظاتنا عن ذلك في ذيل المقال .

تاريخ العرب الحديث

نسيب البربري – الكتب المدرسية المثبتة – مصورات وزارة المعارف السورية – المطبعة الحديثة – دمشق ١٩٥٧ – الصف الثاني – الفرع العلمي – معد للفتح الممتاز حتى عام ١٩٦٠ البقعة العربية – حقوق التأليف والنشر والطبع محفوظة ١٧×٢٤ ص ٨٣

هذا الكتاب على قلّة عدد صفحاته مفعم بالحوادث التاريخية الواجب معرفتها لطلاب البكالوريا ؛ وتسوغ قراءته لكل اديب يهمّه الاطلاع الخاطف والنظرات الواسعة على حياة بلاد الشرق الادنى ؛ وهو متزن الحكم معتدل اللهجة في الكلام على العلاقات بين الشرق والغرب .

تاريخ اصول العالم الحديث

الكتب المدرسية المثبتة – اول ثانوي مطبوعات وزارة التربية والتعليم السورية – مطبعة المفيد – دمشق ١٩٥٧ ص ١٩٢ – ١٥×٢٤ – مصور

لا ذكر للمؤلف في هذا الكتاب فلا يخاطب ولا يعاتب . ومن شيء نرويه عنه احكم على الباقي . قال ص ٤ : انقسمت المسيحية في العصور الوسطى الى مذهبين كبيرين اولهما المذهب الارثوذكسي في الشرق وعلى رأسه بطريرك القسطنطينية والثاني المذهب الكاثوليكي وعلى رأسه البابا في رومة . فهل يفيدنا عن عدد السنين وعن اسماء الرجال في هذه المدة المستغرقة نحو الألف سنة ؟

وقال عن البابا انه اثبت انه خليفة القديس بطرس ... واحتل الباباوات مكانة سامية لانهم كانوا يتوّجون الاباطرة ويمنحونهم البركة والسلطان .

وقال : « كثيراً ما كان الخلاف يقوم بين الباباوات والاباطرة على فكرة من هو الاعلى ولكن الباباوات كانوا دائماً ينتصرون » . فماذا اراد المؤلف بهذه الاقوال وعن اي امبراطور تكلم وعن اي بابا ... فيجازف بالكلام عن غير سند ودراية ... (راجع ملاحظاتنا في ذيل المقال) .

تاريخ الوطن العربي

الصف السادس الابتدائي – مؤسسة الكتب المدرسية المؤمة – مطبعة الجمهورية بدمشق ١٣٧٨ هـ – ١٩٥٨ م – التربية الاجتماعية ١٧X٢٣ ص ١٦٠ الف القسم الاول من الكتاب (حتى الفصل التاسع) الدكتور علاء الدين الخاني والقسم الثاني (من الفصل العاشر حتى آخر الكتاب) الاستاذ بسام كرد علي

اسهب المؤلف في الكلام على التقويم الهجري والتقويم الميلادي وادخل في الوطن العربي شعوب بابل واشور والارام وكنعان وفينيقية فضلاً عن مصر واليمن وشمالي افريقيا . وقال : «كانت شعوب هذه البلاد تتكلم لغات متقاربة فيما بينها يرجع اصلها الى لغة واحدة وهي اللغة السامية اي اللغة العربية الأم» . فعلى مثل هذه الاوضاع ذهب يبني الوطن العربي في عقول تلامذة الصف السادس الابتدائي. فمن اين اتخذ مصادره ؟ (راجع ملاحظاتنا في ديل المقال) .

تاريخ العرب الحديث منذ الغزو العثماني حتى الوقت الحاضر

الصف الثالث الاعدادي – مؤسسة الكتب المدرسية المؤمة – تأليف الدكتور احمد عبدالرحيم مصطفى ، محمد رشدي الجندي ، محمد ابراهيم العبحي ، فوزي بخيت حسين – المطبعة التعاونية بدمشق ١٩٦٠–١٩٦١–١٧X٢٤ مصور – ورق صقيل

في سنة ١٥١٦ فتح سليم الاول الديار السورية والمصرية . فيتناول هذا الكتاب تاريخ ٤٤٤ سنة خص بها المؤلفون الصفحات القلائل في الكلام على بني عثمان وباقي الكتاب جاؤوا به على التدخل الاوروبي في بلاد العالم العربي : الحملة الافرنسية ، الوعي القومي ، نهضة مصر ، قناة السويس ، الاستعمار في شمالي افريقيا ... تأسيس المملكة العربية السعودية والمملكة المتوكلية اليمنية... الى قيام الجمهورية العربية المتحدة ، والى الجمهورية السودانية واستقلال الدول العربية ، وقضية فلسطين الخ... وكل فصل من هذه الفصول مكتظ بأعلام وارقام وذكر حوادث اشبه منها بما يظهر في عواميد الجرائد اليومية فأتى لطلاب الصف الثالث الاعدادي الزمان الكافي لدرسها على ما فيها من طرائف بنات يومها .

التربية الاجتماعية

الصف الرابع الابتدائي – مؤسسة الكتب المدرسية المؤمة – تأليف رشدي الجندي ، انور العقاد ، فيكتور كبه ، مصطفى فيض الله – المطبعة الجديدة – دمشق ١٩٦٠–١٩٦١–ص ١٢٧–١٧X٢٤–مصور– الحقوق محفوظة لوزارة التربية والتعليم

الدرس الاول : جمال عبد الناصر بطل الشعب ، صورته وترجمته – الدرس الرابع : حياة الرسول العربي محمد – طفولته ونبوته – الدرس الخامس : حياة

التيسير — شخصيته وعروبته . ومن ثم المدروس عن حمد عرابي ومصطفى كمال وصلاح الدين الايوبي والخلفاء الراشدين وسعد زغلول وشكري القوتلي . ولم يخيل اصحاب الكتاب المسيحية فخصوها بصفحة المطالعة عن « الكنيسة » فيصفونها ويفسرون الشيء من مظاهرها . (راجع ملاحظاتنا العامة في ذيل المقال)

التاريخ الحديث — منذ النهضة الاوروبية حتى اواخر القرن التاسع عشر

الصف الاول الثانوي — تأليف الدكتور ابو الفتوح رضوان ، الدكتور محمد احمدي عنبر ، الدكتور محمد احمد الغمر — مطبعة الانشاء بدمشق ١٩٦٠-١٩٦١

من عناوين الكتاب تطلع على حركة الفكر البشري منذ النهضة الاوروبية التي بدأت في القرن الخامس عشر والسادس عشر الميلادي ومن عنده خاصة كان رجال الدين والعلوم الذين لجأوا الى بلاطات اوربا بعد فتح القسطنطينية وشرقي اوروبا .

وفصول الكتاب مشبعة بالتعليقات عن الكشوف الجغرافيـــة وبدء حركة الاستعمار وعن تقدم العلوم الطبيعية . وتوارث الشعوب في عالم الفن والصناعة . فأي هو نصيب العرب في هذا التطور العالمي ؟ لا يحجم المؤلفون من الاشارة الى واجب الاجتهاد في سبيل الترقي والعمران ويلذ لنا قراءة ما يكتبونه عن مساهمة العرب في احياء تراث البشرية في العلوم والفنون لكننا لا نوافقهم فيما يقولون عن سيطرة الكنيسة ومحاربة العلم (ص ٩٦) وغير ذلك من المطاعن بالمسيحية التي لا تجوز لا سيما بالكتب المدرسية .

تاريخ العالم العربي في العصر الحديث

الصف الثالث الثانوي — تأليف دكتور احمد عزت عبد الكريم استاذ التاريخ الحديث بكلية الآداب بجامعة عين شمس — دكتور عبد الحميد البطريق مدير البعثة التعليمية والمستشار الثقافي بلندن — دكتور ابو الفتوح رضوان استاذ التربية ووكيل كلية التربية بجامعة عين شمس — مكتبة مصر ٣ شارع كامل صدقي-الفجالة ١٩٦٠-١٧×٢٤-ص ٣٩٠

من ألقاب المؤلفين « العلمية » ينتظر كتاب قيم مفيد تسوغ مطالعته القراء من كبار التلامذة وخيرة المثقفين ؛ وقد احسن « الدكاترة » فيما يقولونه اعتدالاً وهم يسيرون من مرحلة العالم العربي في العهد العثماني من القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر ، بين مصر وبلاد الشام والعراق والحجاز في المشرق ؛ وبين ليبيا وتونس والجزائر ومراكش في المغرب . ومن ثم في اواخر القرن التاسع عشر وفي قرننا العشرين يعودون بالكلام على كل بلد من البلاد العربية ويذكرون تطورات حوادثها من ايام الاستعمار العثماني او الاوروبي الى ايام استقلالها الى

قيام الجمهورية العربية المتحدة (فبراير ١٩٥٨) اذ تندغم سورية بمصر ويحق لهذا الكتاب ان يذكر في الحركة الفكرية في سورية وان يكن مصرياً طبعاً وتأليفاً.

جاء في ص ٢٨٦ : « ان ستين الف جزائري استشهدوا في ثورة الفداني » ان مثل هذه المبالغات والمجازفات تشوّه وجه كتاب جميل من عدة وجوه. الى اي مصدر استند المؤلفون في قولهم ؟

وما احرى رواة هذه الفظائع وامثالها بان يلطفوا من غلوائهم ويدوزنوها بما جاء مقابلاً لها من اعمال المروءة والانسانية ومنالها قريبة معرفته من المؤلفات المنصفة.

جاء في صحيفة « الشهادة المسيحية » .

Temoignage Chretien. Vendredi 27 janvier 1961. Vérité: Justice quoi qu'il en coûte.

اطلقنا نداءً طالبين ارسال طرود هدايا الى السجناء الجزائريين بمناسبة عيد الميلاد.

وما مضت ايام قلائل الا وجاءتنا ١٢٣ طرداً و٣٠٣ حوالة مالية من ٦٨ منطقة.

وزعت الطرود ١٧٠ على سجناء فرين (Fresnes) وسائر الطرود ارسلت الى عدة سجون في الاقاليم : بوردو روان تول ديجون اكس.

وبعض الطرود كانت مشفعة ببطاقات ومنها كتب عليها ما يلي :

لم يبلغ الينا نداؤكم الا مؤخراً وكثيرون من القراء لم يستطيعوا ان يرسلوا طرودهم في الميعاد المضروب ويسألون هل بامكانهم ان يساهموا بعمل الخير هذا وهل تأذن ادارة السجون الى السجناء الذين لم تصلهم الهدايا في عيد الميلاد ان يأخذوها في شهر رمضان ومستهله يكون في منتصف شباط من هذه السنة ١٩٦١.

تاريخ العرب المعاصر

القسم الثالث الثانوي – الفرع العلمي. تأليف الدكتور صلاح مدني، فائز الدالي : هاني مبارك – مطابع « دار النار » ١٩٥٨–١٩٥٩ في ٢٠٦ ق ٨.

طبعت هذه الاسطر العسجدية على ظهر الكتاب: هدفنا في التربية والتعليم بناء جيل عربي واعٍ مستنير يؤمن بالله وبالوطن العربي ويثق بنفسه وأمته... متسلحاً بالعلم والخلق.

اقول راجع ما جاء في الذيل عن التوتاليتاريسم.

دروس التاريخ

الصف السادس الابتدائي تأليف امين عارف وانور رفاعي مطبعة عارف — مطبعة الجديدة محطة الحجاز دمشق ١٩٦٠ ص ١١٨ ق ٨ صور

هذا الكتاب اشبه منه بمجموعة مقالات صحفية كتبت في يومها عن اخبار حوادث الحقبات الاخيرة — وفي دروس التاريخ للصف الخامس الابتدائي ١٩٥٩ في ص ٨٩ نشرت صورة « المأمون يزور مجلساً من مجالس العلم في بغداد » اخذاً عن كتاب الاب فرديناند توتل اليسوعي : « تاريخ سورية ولبنان وفلسطين المصور » (١٩٣٥) . المطبعة الكاثوليكية — واخذت الصورة من غير اذن المطبعة ولم يذكر مصدرها بموجب حقوق التأليف . وليس في الكتاب ذكر لمسيحية وفيه الدعاية الى الاسلام مما لا يوافق تعليمه في مدارس المسيحية .

دروس التاريخ

الصف الخامس الابتدائي تأليف امين عارف وانور رفاعي مطبعة الانشاء بدمشق ١٣٧٨هـ-١٩٥٩

قال ص١٧ : كان الغساسنة في موطنهم الاول اليمن وثنيين... فأعجبتهم الديانة المسيحية السمحاء .

فاقول : اتكون المسيحية اسمح من الوثنية ؟ هي التي تأمر بالكفران بالذات ولا تسمح بتعداد الزوجات .

و ص ٢٥ — ٤٨ : تاريخنا العربي الاسلامي...

فاقول : هذا الفصل كله دعاية الى الاسلام .

و ص ٥٩ : ولما فرغ ابو بكر من حروب الردة جهز اربعة جيوش وسيّرها الى الشام لتحارب الروم وتحرره من حكمهم وتعيد لعرب الشام حريتهم واستقلالهم وتنشر بينهم الاسلام .

فاقول : كيف يسمع التلامذة المسيحيون «الروم» هذا الدرس ولا تنقبض قلوبهم؟

و ص٦٥ : بهذه السياسة السمحاء التي عامل بها العرب سكان البلاد التي تحررت من الحكم الاجنبي دخل الناس في الاسلام افواجاً ...

فاقول : هذا من الادلة على ان السوريين المسلمين كانوا مسيحيين .

٣ً — ملاحظات — مؤلفو الكتب المدرسية

لقد راجعنا « تاريخ الآداب العربية » لبروكلمان الالماني ومعجم المطبوعات لسركيس ، وفيه ترجمة المؤلفين المعاصرين الى سنة ١٩٥٤ ولم نرَ لهم ذكراً فيكونون قد ألفوا كتبهم في هذه السنوات الاخيرة وهم في طليعة التأليف ، وقد يكونون من المعلمين في المدارس الحكومية . وان ممارستهم وظيفتهم الشريفة

لتجهزهم مع الزمان الى التدريس عن خبرة واقتدار ؛ اما موارد تعليمهم فتقدر قيمتها بقيمة المصادر التي يرجعون اليها . وانا سألهم باحترام ان احذوا ما احدوه في ما كتبوه وهل عرضوا على محك النقد ما كتبوه ليميزوا بين (الغث والسمين). لقد استندوا في مؤلفاتهم الى اقوال رجالات قد تكون لهم مكانتهم في الادب اما هذه المكانة فليست حجة يستند اليها في اثبات الحقائق التاريخية .

وقد تصطبغ صفحات هذه الكتب المدرسية المؤلمة بصبغة العجلة والاسراع في الانشاء والطبع فلم تختمر بالرزانة وحسن الذوق ولم تراع مقام المعلم والمتعلمين.

العهد الجاهلي — الاجحاف بحقوق المسيحية ومحاسنها

متات السنين مضين قبل الهجرة والجزيرة العربية وسكانها يعيشون منهم في الصحاري ومنهم في المدن وعيشتهم الى الامس بل لم تكد تتغير حضارة بيما كانت انطاكية والرها والاسكندرية محجات للعلماء ومصادر للثقافة . فلم تذكر الكتب المدرسية ميلاد المسيح ولا « الاعصر المسيحية »فجهلوا الاباطرة السوريين ساويروس الاسكندر المحسن الى المسيحيين وفيليب العربي الذي ولد في حوران من ام مسيحية .

ولم يفوا حقهم من الشكر الصناع السوريين المسيحيين الذين بنوا الهياكل الضخمة في بعلبك ودمشق وتدمر والرصافة ومار سمعان العامودي وغيرها .

ولا تسألوهم سؤالاً عن مدرسة الحقوق البيروتية ولا عن اساتذتها اوليبانوس وبابنيانوس ولا عن تلامذتها ومنهم غريغوريوس العجائبي وغريغوريوس النازيانزي ولا عن دوروتاوس واناتوليوس اللذان كانا من جملة الذين عهد اليهم بتحرير القانون اليوستينياني ولا عن افرام وسيرابيون وبروبوس ويعقوب الرهاوي ومارون ويوحنا الدمشقي ويوحنا فم الذهب واوغسطينوس واثناسيوس وكلهم من النجوم التي لاح نورها في آفاق العالم « بين الخليج والاوقيانوس » وكانوا لنا مواطنين فمسحت اسماؤهم من تاريخ الجاهلية «في عالم امتد من الصين الى اوروبا » . (راجع « تاريخ العرب من العصر الجاهلي حتى نهاية القرن السادس عشر ؛ الصف الثاني الاعدادي ؛ رقم ٨) .

اين الحكمة اين الفن اين الجمال اين الاخلاق الطاهرة اين الاسرة المثالية اين الميادي التي هذبت ذراري البشر؟ — ألم تكن في شرقنا للمسيحي ؟

لقد بدت مظاهر الحكمة في بلاد اليونان وفي ارض الفراعنة ؛ لقد شعّ على الشرق والغرب نور المعرفة وجمال المدنية واساسه التوراة . واقهم بالتوراة الكتاب المقدس بكماله الشامل اسفار العهد القديم واسفار العهد الجديد . والدعاية

الى الحياة الرهبانية وشحبة القريب وغفران للاعداء سيئاتهم والصلاة من اجلهم . وانشاء الكنيسة التي مدنت العالم فعمرت بها بلاد ما بين النهرين وانطاكية ومصر والمغرب قبل ظهور الاسلام بحقبات عديدة حتى ان الجزيرة العربية لم تخل من مآثر هذا الجرورة .

وهذه آثار المسيحية تنطق احجارها في فيافي البيادي الى يومنا بذكرى انطونيوس وباخوميوس في صعيد مصر وسمعان العمودي في الشمال السوري وكل رجل من رجالات العصور تلك في البلاد التي ستدعى « عربية » تطلب ترجمته لوحة تصور مع خطط حياته خطط الزمان والبيئة التي عاش فيها ... فقد ضرب مؤلفو الكتب التاريخية المؤثمة صفحاً عنه ولم يخطر على بالهم ان يقفوا سويعة امام مصاف الكتب في دورها العامرة ليطلعوا على مئات منها التي كان عليهم ان يقرأوا شيئاً منها قبل ان يقبلوا على التأليف .

وكتبوا ما كتبوه عن البلاد « العربية » وشملوا فيها سورية ومصر والمغرب وفاتهم انها قبل الاسلام كانت اعزّ منها في ما بعده رجالا وعمراناً وثقافة وقداسة وما ان يقرأوا كتب الديارات ويحصوا عددها فيما كانت عليه ايام « الجاهلية » وينظروا الى ما صارت اليه بعدها ليتحققوا صدق مقالنا .

القرون الوسطى « عصور الظلام »

ان « الكتب المدرسية المؤثمة » تستوحي اقوالها عن القرون الوسطى من مؤلفات صدرت عن رجال معادين للدين الكاثوليكي فيكيلون باللوم على احوال القرون الوسطى بأشد ما يستطيعونه من الانتقاد المرّ وهم يعلمون بانهم في ذلك ينالون من كرامة الدين المسيحي. فلا يمكننا السكوت وطرح تلك الكتب بين ايدي اولادنا المسيحيين دون ان ننبههم الى الوقاية من سمومها .

ان الكتب المؤثمة تظهر القرون الوسطى موبوءة بالامراض والعاهات منكوبة بالمجاعات مظلومة بطغيان الاكليروس ؛ وتجاه تلك البلايا تستعرض احوال العرب ومحاسنهم وتقول شتان بين الظلام والنور وبين الجهل والغباوة في الغرب وبين المدنية عند العرب .

ويأخذون بمثل هذه الاقوال ويصورون صور العصور التي انتفضت في الغرب من العهد الروماني الى عهد النهضة (Renaissance) بأبشع الصور « هو طغيان الجهل والخرافات على العقول فلا حرية في الفكر ولا اجتهاد في سبيل ترقي العلوم بل هو الجمود الآخذ بالخناق المتسلط على الرقاب ليقود العباد طائعين منقادين على المعميش لاوامر البابوية وحلفائها » . وهذا الكلام دعاية غير مباشرة للاسلام لانه يحط من قيم الثقافة المسيحية ومدنيتها .

هل ترى اصحاب الكتب المدرسية ان الجامعات المسيحية في القرون الوسطى كانت توازي ما يرى اليوم في الازهر بعدد طلابها من سائر الطبقات الاجتماعية ومن سائر الامم وكان الفضل في تأسيسها للاباوات كما كان الفضل للرهبان والاساقفة في تأسيس المدارس . ومن رجال الدين كان المعلمون وكانت الكنيسة تفاخر اذ ترى الشبيبة الاكليريكية تنافس الشبيبة العلمانية في ظل معاهدها اقبالا على العلوم وارتشافاً لمناهلها .

رأي ابن خلدون

١٣٣٢ — ١٤٠٦

راجع : مقدمة . الفصل الثالث عشر (من الكتاب الاول — من المجلد السادس) ص ٤٧١ — ٤٨١ المطبعة الادبية طبعة ثالثة — بالشكل الكامل ١٩٠٠ بيروت

قال « في العلوم العقلية » :

...ان اكثر من عني بها في الاجيال الذين عرفنا اخبارهم الأمتان العظيمتان في الدولة قبل الاسلام وهما فارس والروم ؛ فكانت اسواق العلوم نافقة لديهم على ما بلغنا لما كان العمران موفوراً فيهم والدولة والسلطان قبل الاسلام وعصره ثم فكان لهذه العلوم بحور زاخرة في آفاقهم وامصارهم وكان للكلدانيين ومن قبلهم من السريانيين ومن عاصرهم من القبط غاية بالسحر والنجامة وما يتبعها من الطلاسم واخذ ذلك عنهم الامم من فارس ويونان فاختص بها القبط وطمى بحرها فيهم ...

واما الفرس فكان شأن هذه العلوم العقلية عندهم عظيماً ونطاقها متسعاً ... ولما فتحت ارض فارس ووجدوا فيها كتباً كثيرة كتب سعد بن ابي وقاص الى عمر بن الخطاب يستأذنه في شأنها وتنقيلها للمسلمين فكتب اليه عمر ان اطرحوها في الماء فان يكن ما فيها هدى فقد هدانا الله بأهدى منه وان يكن ضلالا فقد كفانا الله فطرحوها في الماء او في النار وذهبت علوم الفرس فيها عن ان تصل الينا.

واما الروم فكانت الدولة منهم لليونان اولا وكان لهذه العلوم بينهم مجال رحب وحملها مشاهير من رجالهم ... واتصل فيها سند تعليمهم على ما يزعمون من لدن لقمان الحكيم في تلميذه بقراط الذي ثم الى تلميذه افلاطون ثم الى تلميذه ارسطو ثم الى تلميذه الاسكندر الافرودسي وتامسطيوس وغيرهم . وكان ارسطو... ارتخيهم في هذه العلوم قدماً وأبعدهم صيتاً وكان يسمى المعلم الاول...

ولما انقرض امر اليونان وصار الامر للقياصرة واخذوا بدين النصرانية ... قد ملكوا الشام ، وكتب هذه العلوم باقية فيهم ثم جاء الاسلام وكان لأهله الظهور الذي لا كفاء له وابتزوا الروم لكنهم فيما ابتزوه للامم وابتدأ امرهم

بالسذاجة والغفلة عن الصنائع حتى اذا تبحبح من السلطان والدولة واخذ الحضارة بالحظ الذي لم يكن لغيرهم من الامم وتفننوا في الصنائع والعلوم : تشوّقوا الى الاطلاع على هذه العلوم الحكمية بما سمعوا من الاساقفة والاقسة المعاهدين بعض ذكر منها وبما تسمو اليه افكار الانسان فيها .

فبعث ابو جعفر المنصور الى ملك الروم ان يبعث اليه بكتب التعاليم مترجمةً فبعث اليه بكتاب اوقليدس وبعض كتب الطبيعيات فقرأها المسلمون واطلعوا على ما فيها وازدادوا حرصاً على الظفر بما بقي منها .

وجاء المأمون بعد ذلك وكانت له في العلم رغبة بما كان ينتحله فانبعث لهذه العلوم حرصاً وأوفد الرسل على ملوك الروم في استخراج علوم اليونانيين وانتساخها بالخط العربي وبعث المترجمين لذلك .

فاوعى منه واستوعب وعكف عليها النظار من اهل الاسلام وحذقوا في فنونها وانتهت الى الغاية انظارهم فيها وخالفوا كثيراً من آراء المعلم الاول واختصوا بالرد والقبول لوقوف الشهرة عنده ... وكان من اكابرهم في الملّة ابو النصر الفارابي وابو علي بن سينا بالمشرق والقاضي ابو الوليد بن رشد والوزير ابو بكر بن الصائغ بالاندلس ...

ثم ان المغرب والاندلس لما ركدت ريح العمران بهما وتناقصت العلوم بتناقصه اضمحل ذلك منها الا قليلاً من رسومه تجدها في تضاريق من الناس وتحت رقبة من علماء السنة .

... كذلك بلغنا لهذا العهد ان هذه العلوم الفلسفية ببلاد الافرنجة من ارض رومة وما اليها من العدوة الشمالية نافقة الاسواق وان رسومها هناك متجددة ومجالس تعاليمها متعددة ودواوينها جامعة متوفرة وطلبتها متكثّرة . (ص٤٨١ سطر ٢٠–٢٣

ما تعلمه الافرنج في مدارس العرب

كتب الاب شيخو في المشرق ١٧ : ٣١٦ ... « في مقالة في شهر آذار من مجلة الهلال ١٩١٤ اتسع جرجي افندي زيدان في ذكر ما للشرقيين من الفضل على اهل المغرب... وافتتح الكلام بفصل عنوانه « ما تعلّمه الافرنج في مدارس العرب » وزعم هناك (ص ٤١١) ان طلاباً من الاسبان والايطاليان والانكليز والفرنساويين وغيرهم كانوا يتزاحمون في مدارس العرب. « وان الافرنج استفادوا من تلك المدارس فوائد علمية وادبية لا ينكرونها » ، وخص بالذكر « البابا سلفستر الثاني في القرن الحادي عشر للميلاد قبل ان يصير حبراً وكان اسمه جرير » الخ. وقد احال الكاتب الى كتابه « التمدن الاسلامي » فراجعناه لننظر الى اي سند يسند زعمه فلم نجد شيئاً مما كنا نؤمله . فما بقي لنا الا ان

نطلب من منتهى افضال ان يحيينا في مجلته ويعين لنا كتب العرب التي اعتمدها المذكر هذا الامر الجلل فاننا راجعنا كتب تواريخ الاندلس لابن بشكوال وللضبي وللقاضي صاعد الاندلسي ولابن الابار وللمقري فلم نجد اثرًا لزعمه .

اما قوله عن البابا سلفستر الثاني فلدينا شواهد العلماء تفنيدًا لقول الزاعمين بانه درس في مدارس العرب في اسبانية . فان كان لصاحب افضال حجة منافية لقولهم فليتكرم بها علينا والا لصح لنا القول بانه يرمي الكلام على عواهنه ويكتب دون تروٍّ ليتزلف الى قرائه المصريين بتضحية حقوق التاريخ. اما اذا استند الى كتبة من الافرنج فلا بُدَّ من تعريف اولئك الكتبة لان كثيرين منهم لا يعول على شهادتهم كسيديليو وامثاله الذين يهرفون بما لا يعرفون ويزيف المحدثون مزاعمهم . ولا نقول ذلك لننكر فضل العرب وانما نريد ان تثبت الحقائق التاريخية بالبراهين لا بالاوهام والتخيلات » .

ان امام مؤلفي «الكتب المدرسية المؤثمة » « وما شاكلها انما هو غوستاف لوبون صاحب كتاب « مدنية العرب » Gustave Lebon: *La Civilisation des Arabes* وكان اديباً عالماً بالطبيعيات وكان طبيباً لكنه ليس من فرسان المستشرقين ممن يشار اليهم بالبنان فليس هو حجة في التاريخ فليس بين علماء المستشرقين من يستند الى تأليفه .

نحن ونكتب هذا المقال جاءنا مدير المكتبة الشرقية بكتاب ألفه غستون فيات الزائع الشهرة بما كتبه عن مصر والبلاد الشرقية عامة وعن مصر خاصة وذلك الكتاب عنوانه الجميل دليل على ما يحويه من فصول ثمينا لو يقرؤها مؤلفو الكتب المدرسية ويستوحوا منها مواد كتبهم معربةً للتعليم وهو بالافرنسية :

Gaston Wiet, de l'Institut : *Grandeur de l'Islam de Mahomet à François Ier*. Paris, 1961.

ومعناه (عظمة الاسلام) . وفيه الكلام عن امجاد العرب ومفاخرهم من عهد النبي محمد الى ايام السلطان سليمان القانوني ويستند صاحبه الى العشرات من علماء المؤلفين من عرب وافرنج من مسلمين ومسيحيين ولا يذكر سيديليو ولا غوستاف لوبون.

الحروب الصليبية

استغرقت اطوارها حوالي مائتي سنة (١٠٩٨ — ١٢٩١) . وكان سببها البعيد احتلال الاسلام قبر المسيح واراضي المسيحيين المقدسة . وفي هذه الاراضي احتكاك واصطدام المسيحية بالاسلام . ومن العسير الكلام عن ذلك الاحتكاك والاصطدام من دون اثارة ذكراوات مؤلمة وكتابة صفحات تنتابها اعمال القساوة والفظاعات الواقعة في كل حرب بين البشر

وتاريخ الحروب الصليبية فصل من فصول التاريخ العالمي والديني معاً . وفيه المحاسن والمساوئ وهي تلحق بكلا الفريقين المتحاربين احدهما المسيحي والثاني الاسلامي . والفطنة كل الفطنة لازمة في تدريس هذا الفصل في المدارس لا سيما ان كان المعلمون والتلامذة ليسوا كلهم مسلمين او كلهم مسيحيين .

اذكر المشقات التي كان يعانيها المعلم في المدارس المختلطة بين تلامذة افرنسيين والمان اذا ما جاء على ذكر حرب السبعين او على ذكر الحرب الكونية الاولى والثانية كأنك تقلب بين يديك جريحاً كيفما مسسته ادميته . فسلامة الذوق والدراية والذكاء تملي في مثل تلك الظروف على مؤلف الكتاب ما يجب ان يكتبه فلا يجرح القارئ ولا يمسه بالتسميم . ومن البديهي ان العاطفة الدينية تتألم وتثور في التسميم في حوّ الصف حيث التلامذة يكونون من المسلمين ومن المسيحيين

واعلم ان فظائع الصليبيين حدثت بالرغم عن قوادهم . وليس من الانصاف اخذ الحدث الفرد عنواناً لسائر الاحداث . ومن امثال ذلك لم يخلُ تاريخ العرب واحسن مؤلفو الكتب المدرسية المؤممة ولم يذكروه ولكن رأينا ان نأتي على شيء من ذلك للتوازن التاريخي .

قال الطبري في سنة ٩٠ « اوقع قتيبة بأهل طالقان بخراسان فيما قال بعض اهل الاخبار فقتل من اهلها مقتلة عظيمة وصلب منهم ستمائين اربعة فراسخ في نظام واحد » .

وقال ايضاً في سنة ٩٩ « حج سليمان بن عبدالملك فلما كان بالمدينة واجعاً تلقوه بنحو من اربعمائة اسير من الروم فعقد واقربهم منه مجلساً عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب صلوات الله عليهم وجعل يدفع الاسرى الى وجوه الناس يقتلونهم ... » (ص ١٣٨) .

وقال « في السنة ١١٨ عن الكرماني انه كان يعامل الاسرى على هذه الصفة فثلث منهم يصلبهم وثلث يقطع ايديهم وارجلهم وثلث يقطع ايديهم » (ص ١٥٩١) .

وقال : « في سنة ١٢٧ وقف مروان موقفاً وامر ابنيه فوقفا موقفين ووقف كوثر صاحب شرطته في موضع امرهم ان لا يؤتوا باسير الا قتلوه الا عبداً او مملوكاً فأحصى من قتلاهم يومئذ نيف على ثلثين الفاً ... » (ص ١٩١٠).

وجاء في تاريخ الفخري سنة ١٣٢ هـ عن ابي العباس السفاح : « وكان كريماً وقوراً عاقلاً كاملاً كثير الحياء حسن الاخلاق . وتحول من الحيرة الى الانبار ولما استوثق له الامر تتبع بقايا بني أمية ورجالهم فوضع السيف فيهم واغراه على

قتلهم سديف الشاعر فأنشده وسليمان عبد الملك حاضر في مجلسه مع سبعين رجلاً من بني أمية .

لا يغرنك ما ترى من رجال ان تحت الضلوع داء دوياً
فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها اموياً

فالتفت احدهم الى من بجانبه وقال قتلنا العبد . ثم امر بهم السفاح فضربوا بالسيوف حتى قتلوا . بسط النطوع عليهم وجلس فوقهم فأكل الطعام وهو يسمع انين بعضهم حتى ماتوا جميعاً .

وان مثل هذه الفظائع يوجد في تاريخ الشعوب اذا اضطرمت نار الحرب واستأسد الانسان على الانسان . وياليت المؤرخين يذكرون اعمال الرحمة التي كانت تقتدي عمال القساوة في الحرب .

فيجعلون من تاريخهم صورة اقرب الى الحقيقة وجديرة ان تبعث في نفس التلامذة فلا تربي فيهم البغضاء .

جاء في تاريخ الازمنة للدويهي (طبعة بيروت ، المشرق ١٩٥٠ ص ١٤) : « سنة ١١٠٢م ٤٩٦ هـ. انهزم بلدوين مع جماعته ودخل قلعة الرملة عند المساء وصاروا تحت خطر عظيم ولكن دخل اليهم رجل من اعيان العرب...وخرج بالملك وجماعته ليلاً ونزل بهم الى سروج... [وخلصهم] . وذلك ان لما بلدوين قاتل العربان وان لما انهزموا ... كانت زوجة البدوي مع جماعة العربان ولما انهزموا دنت ساعتها لتوضع فأمر الملك ان لا احد يأذيها بل يعطوها ناقتين مرضعات وقربتين ماء وأكل وفرشة من الكسب وخادمة تخدمها . فلما بلغ ذلك بعلها رجع جميلته فوافاه في هذا المحل .

هذا ولا نجهلن ان للمسيحيين نظرات في الحروب الصليبية غير ما هي لغيرهم . فيكيلون الكيل الداعي الى التفاهم لا الى البغضاء وما اسهل ذلك اذا ما افاضوا في ذكر النتائج الصالحة التي نتجت عن الحروب الصليبية .

وان الكتب المدرسية المؤلمة مشحونة بشتى الاقوال والنصوص الغير موافقة للحقيقة والتي لا يوافق تعليمها في المدارس المسيحية لا سيما اذا اخذ المعلم يخبط خبط العشواء في المواضيع الحساسة المثيرة النعرة الدينية .

وان هذه الملاحظة فيما يخص الحروب الصليبية لها ايضاً وقعها على مستوى الطريق لمن يعلم التاريخ في البلاد الشرقية التي كانت للمسيحية ثم انسلخت عنها بالاسلام ولم يزل ذكر انسلاخها يتجدد كلما ثارت فتنة بين سواد العامة من الجهال[1] .

(١) في المظاهرات التي صارت في دمشق في انقلاب ٨ اذار تعدى بعض الرعاع على المسيحيين

ثما احرى بكتبة التاريخ بان يفهموا حراجة الموقف ويختاروا عنه بسرعة الى الكلام عما يجب ان يلقن الناشئة داعياً اياها الى التسامح والتفاهم اذا جاء ذكر الغرب والغربيين باعتبار الصلة الدينية الرابطة بين المسيحيين الشرقيين وبين الغرب.

فاعتذرنا يا مؤلفي «الكتب المدرسية المؤممة» من المشاحنة والمقابلة بين الشرق والغرب ولا تجعلونا اضحوكةً للجيل الناهض بان يعيرونا بما «كان ابي» فلا يشست بنا الاجنبي اذا قرأ ما جاء في كتاب «دروس التاريخ».

«(ص ٨٧) ويروى ان الرشيد بعث الى شارلمان بهدية كبيرة فيها فيل ضخم اسمه ابو العباس وقشة حريرية فاخرة وشطرنج وساعة دقاقة خاف منها رجال شارلمان حين رأوها تتحرك وظنوا ان الرشيد وضع فيها الجان والسحرة ليحركوها مما يدل على تقدم العلم في الدولة العربية وتأخر العلم في اوروبا في عصر الرشيد»!

الدعاية الى الاسلام

فان كان على المعلم ان يربي الجيل الناهض على مبادي الوطنية الصادقة ليأخذ بعدم الدعاية الى الاسلام وليفرق بين الاسلام والعروبة فرقه بين الاسلام والمسيحية. وهذا العلم العربي يخفق على رؤوسنا نحن المسيحيين فنستميت في ظله علماً مقدساً فنحميه بواجب ايماننا المسيحي ويحمينا آمنين من كل شماتة او اضطهاد.

ورب قائل يقول:

ومن يضطهدكم؟ وما شكواكم؟

اقول ان شكوانا علته «الكتب المدرسية المؤممة» ومضطهدونا هم مؤلفو «الكتب المدرسية المؤممة» لانها تضغط بكابوس على الاولاد المسيحيين فتمس اعتقاداتهم وتوبئ الجو الذي يعيش فيه التلميذ المسيحي وتقاوم حرية ضميره وتخلق بين التلامذة المسيحيين والتلامذة الغير المسيحيين في مدرسة واحدة توتراً لا ترضى به ادارة التعليم في البلاد الراقية. لقد قرأنا واياك في «الكتب المدرسية المؤممة» عناصر متأتية من جوّ اسلامي يؤدي الى التفرقة في مصاف التلامذة ومس عواطف الاولاد المسيحيين والحط من كرامتهم.

ان اللازمة في هذا النشيد هي ما جاء اخذاً عن القرآن الكريم سورة

في القصاع رباب توما واعين بعض الكهنة الملكيين الارثوذكس فاضطرب المسيحيون وخافوا اعادة ما عرفه آباؤهم من الاضطهاد ولكن ابراهيم الحمزاوي محافظ دمشق جاء للحال يطلب المعذرة من ممثلي الطوائف المسيحية وقال ان هذه الحادثة المأسوف لحدوثها هي مخالفة لروح ثورة ٨ اذار ومناقضة لعاطفة التآخي الموجودة في قلوب المسلمين نحو مواطنيهم المسيحيين – (عن مكتب الاذاعة–لوجور ١٣ اذار ١٩٦٣). راجع المشرق ص ٧٣٥، ١٩٥٧ : «العروبة ليست الاسلام».

آل عمران (١١٠) في قيمة الامة العربية : « كنتم خير أمة اخرجت للناس » .

ومن القرائن في هذه الكتب معنى « خير أمة » هي العرب المسلمون . وما احرانا بالمقابلة بين « العروبة » الداعية اليها الكتب المدرسية وبين ما جاء من امثال ذلك في مبادي التوتاليتاريسم Totalitarisme الفاشيستي والنازي والسوفياتي القائل بواجب خضوع الرعية المطلق للدولة فلا يحق لأحد ان يعارضها في امر من الامور .

اتخيم هذا الظلام على البلاد العربية المباركة ويحرمها حرية التعليم فارضاً عليها « الكتب المدرسية المؤممة » وما شاكلها ؟

واليك ما جاء في تعاليم الفاشيستية الرسمية .

« انا اؤمن بروما الابدية الغير ممكن محوها . فهي ابي ووطني وهي الشعلة المتسلطة على المدنية الاوروبية وعلى العالم . فايها اعجوبة الله في خلائقه لقد تكوّنت في احشاء النبوغ والحكمة والعلم والفن . لقد اضطهدها البرابرة المستعمرون وصلبوها ومزقوها ودفنوها . لكنها عادت الى جدودها ونهضت بروحهم وشعائرهم وافكارهم بنصر فيتوريو امانويلي وبالفاشستيين الاحرار . هي روما الجديدة المضاهية بعزها ، روما القديمة .

هذا ايماننا بموسوليني ، وبالشعب الايطالي » .

وان هذه الأمة التي ستخفق اعلامها على الخافقين اتكون عربية او اسلامية؟

فالعرب اصلاً وفصلاً ولغة وديانة شكل .

والاسلام اصلاً وفصلاً ولغة وديانة شكل .

وان التلامذة الذين يدرسون هذه « الكتب المدرسية المؤممة » المحفوظ تأليفها ونشرها وطبعها لوزارة المعارف قد يكون اكثرهم مسلمين ولست ادري هل يكون هؤلاء الكثر اصلاً من العرب ؟ فالبربر في المغرب والمصريون في مصر والمستعربون في سورية ولبنان ليسوا عرباً اصلاً ، وليسوا كلهم بمسلمين ، فهل يجوز ان يطلق عليهم ما جاء في « القرآن الحكيم ، سورة آل عمران ١١٠ » كعنوان لتاريخهم كما جاء في لازمة النشيد .

ولنفهم القارئ اللبيب بأني اذ اطرح السؤال فليس من غايتي التمزيق والتفريق بل اريد واياه ان ننظر الى الحقائق بعين التبصر والوعي فلا نخطئ الهدف الذي اقرأه على الصفحة الاخيرة من تاريخ العرب المعاصر للدكتور صلاح المدني ...

« تثبيت مكانة الأمة العربية المجيدة وتأمين حقها في الحرية والامن والحياة الكريمة » ...

وان هذا الخدف يقضي بان نصهر عناصر البلاد العربية لغةً في بوتقة يخرج منها المذهب الخالص . فلا يضاحر فيـــه العرب الاقحاح على العرب المستعربين ولو من « اهل الذمة » .

« الغسيل الوسخ يغسل في البيت »

انه لعسير جداً على كتبة تاريخ الشرق الأ يتسطدموا في كل فصل من فصوله بقضية المسلمين والغير المسلمين . وهكذا قضت الاقدار وهذا ما يظهر جلياً في طيات « الكتب المدرسية المؤتمة » ..

ولعل متاكل الحروب الصليبية واخرطقات وتواريخ الكنيسة والباباوات يأتي ذكرها في الكتب المدرسية في بلاد العرب ويذهب فيها المؤلفون شتى المذاهب والروايات عنها مختلفة بين البروتستانت والارثوذكس والكاثوليك : وربما ضعت في صميم الامر يأخذها بعضهم بالرضى وغيرهم بالامتعاض .

ومن امثال ذلك ما يظير يومياً في الصحافة الغربية المطلقة الحرية في الانتقاد فلا يكاد ينجو من سهامها اصاب او اخطأ رجال الدين ولا يلبث ان يهمد اوارها . فلا تثير الفتن بين الطوائف المسيحية وقد يطلق عليهم المثل السائر : « الغسيل الوسخ يغسل في البيت » On lave le linge sale en famille

اما في بلادنا الشرقية فلا يهون على المسيحي ان يسمع المسلم ينتقد ديانته ويعد الناس اثارة هذه المشاكل مدعاة للفتن.

وان مؤلفي « الكتب المدرسية المؤتمة » لم ينتبهوا الى هذه الحقائق . ويا لسوء الحظ كما قلنا ان تاريخ العرب والاسلام على طول الايام معطدم بمجابهة المسيحية اينما توجه او يكاد . واصبح من الصعب جداً على مؤلفي « الكتب المدرسية المؤتمة » ان يتقوا شر هذه الفتنة بين التلامذة . او اذا الجئ هؤلاء الى بلع ريقهم والسكوت وهم صغار فلا ينفكون يحفظون الحفيظة والكمد لسماع الاستاذ في التدريس يكيل باللوم على المسيحية والباباوية والصليبيين فينشأ الاحداث وصدورهم موغرة بما سمعوه . وادمغتهم محشوة بما كيل عليهم كيلاً فائضاً من العرب والاسلام وافضالهم في سائر انواع العلوم والفنون والترقي والمدنية وضمائرهم غير مرتاحة لما وعوا .

وكأن صاحب كتاب « التاريخ الحديث في الشرق والغرب » بعد ان روى ما رواه اخذاً بما امر به من وزارة المعارف فاشعر بحراجة موقفه وندم على ما كتب فصدر كتابه بشعر وقعه باسمه فقال :

حياة كلها زفتُ فلا حظ ولا بختُ
ولا استاذ يسعفني اذا في الفحص تنيتُ

ولا قس ولا شيخ يصلي اذا مت
ولا اقطاعي يتولى اذا ما يوماً اطلت
اذا لم تنشروا قولي وهذا خير ما قلت
لاهجرنكم ودنياكم شجاء حله قرت[1]

العلامة
صاحب الكتاب

فمن لا يرى ان هذه الخواطر تدل على عدم تأدية الكتب ما كان منتظراً منه ليكون مرجعاً قيماً للمعلم والمتعلم ؟!

ويروق لنا ختام هذا المقال فيما يلي :

« لا تعصب في الدين »

ان جريدة «الجمهورية» الصادرة في وهران (الجزائر) في عددها المؤرخ في ٢٩ شباط ١٩٦٤ نشرت مقالا لحكومة (تشاد) صادراً عن المجلس الاقتصادي الاجتماعي موجهاً الى الامم المتحدة عرضت فيه الى مشروع قانون بالغاء كل نوع من انواع التعصب الديني ، واليك فحواه :

« ان الدول الموقعة اسماءها على معاهدة الامم المتحدة عليها ان تتعهد في القانون الاساسي الذي تتخذه في المحافظة على مبدأ لا دينية الدولة وبالمبدأ الصادر منه في انفصال الكنيسة عن الدولة .

فيجب الاشادة بمذهب المسامحة وعلى الحكومة ذات الصلاحية ان تراعي حقوقه فتنشر رسمياً الممارسة الحرة لكل الديانات التي لا تمس بالنظام العام وان تنص العقوبات ضد كل شخص او فرقة تضر او تحاول ان تضر بخير اشخاص مدفوعة بالتعصب الديني » (*Revue de Presse*. Mars 1964 No 83. Afrique).

اصالة الرأي صانتني عن الخطل

وهذا البحر الخضم المتلاطمة امواجه لا اقول بين الخليج والاوقيانوس ولكن بين المشارق والمغارب اعني به دائرة المعارف الاسلامية التي ينقلها المصريون الى العربية والاتراك الى التركية ؛ هل يكون لها وجود لولا علماء الغرب الذين اكبوا على دراسة آثار الشرق وابدعوا وجاؤونا بما لا كان لنا الحلم به . وهؤلاء العلماء الذين توجت الحكومة المصرية باسمائهم متحف آثارها العظيم فانهار عرش محمد

(١) هذا الشعر مسطر خطأ ويتصدر الصفحة الثانية من كتاب التاريخ الحديث في الشرق والغرب – لصف الشهادة المتوسطة ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦ م :

علي ولم تزل على جبهة المتحف المصري تنطق بفضل علماء الغرب . ومن الكياسة والكرم ان نشيد بذكر الصالحات ولا يعرف الاحسان الا ذووه الكرام .

ولا تسأل عن المشاريع الكبرى في العمران كالسفن البخارية والخطوط الحديدية والخطوط الجوية والنفق تحت الجبال والطرقات المخترقة الاقطار التي احذقها الشرق عن الغرب وعن العشرات او المئات النوابغ في العلوم والفنون من اهل الغرب واصحاب جائزات نوبل الحقيقين بان نقتفي آثارهم ونغض النظر عن نقائصهم ولا عار علينا في البلاد المتوغلة في الصحاري والرمال تحت الشمس المحرقة اذا سبقنا سكان المناطق المعتدلة في ميادين الاختراعات المساعدة عليها الانواء والمياه كأن الحق سبحانه وتعالى الذي انعم على بلادنا الشرقية بان تكون مهداً لدين المرحمة اراد ان يدعونا الى التواضع فيما نلناه من مراحمه من غير استحقاق منا فيخاطبنا ويقول عن لسان النبي اشعيا : (٥٥ : ٨) « ان افكاري ليست افكاركم ولا طرقكم طرقي » . وعن لسان بولس الرسول الى اهل كورنتس (٢ : ١٣ : ٣١) : « تنافسوا في المواهب العظمى وانا اريكم طريقاً افضل جداً » .

جهزنا لطبع مقالنا على « الكتب المدرسية المثوبة » وفي هذا النهار ١٦ ايار قرأنا البلاغ الصادر من حاضرة الفاتيكان : اجتمع في رومة ممثلو التعليم الكاثوليكي في البلاد العربية وفي بلاد الشرق الادنى والاوسط ولم يكن غائباً بينهم الا ممثل قبرص وليبيا والعراق والسودان — ان عدد المدارس الكاثوليكية في البلاد المذكورة هو ١٫٤٥٠ وبمجموع تلامذتها اربع مئة الف . يعلم فيها ١٥٠٠٠ معلم ومنهم ١١٠٠٠ علمانيون . وجاء في البلاغ ان العقبات التي تعترض طرق التعليم في البلاد العربية تتنوع بانواع المناطق لكنها تتشابه جوهرياً بسبب الاوضاع المشتركة بينها في المراد التاريخية القديمة والمعاصرة فيما يخص العلاقات بين الكثلكة والشرق وبين الكنيسة الرومانية والاسلام . وجاء في البلاغ انه لا بد من ازالة كل داع يحول دون ولاء المدارس الكاثوليكية المطلق للمؤسسات الوطنية في البلد العربي . وطلب الى المسؤولين عن التعليم الكاثوليكي ان يشجعوا المعلمين والتلامذة على المساهمة في بنيان الامة في كل من تلك المناطق لينشطوا فيها روح الوطنية العادقة طبقاً لمبادئ المحبة المسيحية والكثلكة في الكنيسة .

l'Orient, 17 mai, 1964

(يتبع التعريف على المجلات)